



مجلة العاصمة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

بصمات الأدب العربي الهندي

نشاد علي الوافي

نائب عميد كلية لواء الهدى بأريكوود، كيرالا، الهند

الهند بلاد محظوظة بقدم الإسلام واللغة العربية جراء وصول نخبة من الأصحاب عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت رئاسة مالك بن دينار إلى شواطئ الهند الغربية الواقعة في بحر العرب أولاً وفتح محمد بن القاسم السند الواقعة على شاطئ الهند الشمالي الغربي عام ٧١١ م ثانياً وفتح محمود الغزنوي بين عامي ٣٨٨ هـ و ٤٢١ هـ الحدود الشمالية الغربية المتاخمة لأفغانستان وإيران ثالثاً (١). تعتبر اللغة العربية في الهند لغة كلاسيكية مثل لغة السانسكريتية (Sanskrit) وأصبحت اليوم لغة دين وثقافة لـ ١٣٦.٠٩ مليون مسلم هندي (٢) ويتم تدريسها في زهاء عشرين جامعة حكومية هندية وآلاف مدارس دينية أهلية (٣) وهي أنجبت العديد من الأدباء والشعراء والمثقفين الذين تركوا بصماتهم الأدب العربي. وعلى صعيد النثر تطرق الهنود إلى التفسير والحديث والفقه والتاريخ وعلم الكلام والتصوف... إهمالا الفنون الرئيسية ذات العلاقة به من أجل استخدامهم الأدب العربي للأغراض الدينية ووجهة نظرهم بأن القصة والرواية والتمثيلية لا تليق بهم وشأنهم (٤). وعلى ضوء هذا يمكن تحديد أعمال النثر الهندي العربي في مواضيع دينية كما يلي:

التفسير: وقد كان أول من فسر القرآن باللغة العربية في الهند نظام الدين حسن بن محمد حسين الشافعي (٥) وتابعه أبو بكر إسحاق بن تاج الدين الحنفي ومحمد بن أحمد الكجراتي وعلاء الدين أحمد المهامي الشافعي والقاضي شهاب الدين شمس الدين الدولة آبادي الملقب بـ "ملك العلماء" (٦). الكتب المؤلفة في التفسير بأقلام الهنود تنقسم إلى أربعة أنواع: الأول التفاسير العامة الشاملة لجميع القرآن مثل "تبصير الرحمن وتيسير المنان في تفسير القرآن" للشيخ علاء الدين علي ابن أحمد الشافعي المهامي المتوفي سنة ٨٥٣ هـ وطبع بمصر بأمر من جمال الدين الوزير والثاني الكتب الموضوعية في تفسير آيات الأحكام مثل "نيل المرام في تفسير آيات الأحكام" للسيد صديق حسن القنوجي والثالث كتب التفسير لبعض أجزاء القرآن مثل "أنوار الفرقان" للشيخ نقشبند بن عطا الله الكنوي والرابع الشروح والحواشي على بعض أمهات كتب التفسير مثل "حاشية على تفسير المدارك" للشيخ جمال الدين بن ركن الدين الكجراتي

الحديث: علاقة الهند بالجزيرة العربية المسلمة المتواصلة أسفرت عن وصول الحديث إلى القارة الهندية خاصة في حقبة الخليفة عمر (ر) حين أرسلت عليها سفينة بقيادة الحكم بن أبي العاص المرسل من عامل عمر (ر) في عمان والبحرين عثمان بن أبي العاصي رضي الله عنه (٧). بناء على رغبتهم العارمة المتضاعفة في علم الحديث عكفوا على الدراسة والتدريس والتصنيف فيه حتى أن أصبح الهند موضع الظمأ لعطشى الحديث. وكان أول من قام من الهنود بترويج الحديث تصنيفاً وتدریسا حسب إشارة صاحب "نزهاة الخواطر" الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي (٤٠٥٤-١٠٥٤).

- ١ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية (رسالة مقدمة في جامعة الأزهر بمصر لنيل شهادة الدكتوراه عام ١٩٧١)
- ٢ للدكتور محي الدين الألواني، دار القلم بدمشق، ١٩٨٦-٩-٨
- ٣ طبق الإحصائيات الهندية القومية عام ٢٠٠٩
- ٤ تعليم اللغة العربية في الهند: مشكلات وتطلعات، دنسيم أخترا أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بالجامعة المليية نيودلهي
- ٥ مساهمة علماء دار العلوم بديوبند في الأدب العربي للدكتور زبير أحمد الفاروقي، ٢٦ دار الفاروقي بنيودلهي، ١٩٩٥ م
- ٦ كتابه "غرائب القرآن و رغائب الفرقان" تمت الكتابة في الدولة آباد" الدكن
- ٦ لقبه به سلطان جونبور
- ٧ مجيى أهل الحديث في شبه القارة الهندية لمحمد إسحق بهتي، ص: ٦٨

٩٥٩ هـ الموافق ١٦٤٢-١٥٥٢م(١) ومن مساهمته الثمينة ترجمة كتاب "المشكاة" بالفارسية والشرح على "سفر السعادة" وبلغت تصانيفه مائة مجلد.

ومن العباقرة المشهورين في كل صوب وحذب بإعادة مكانة الحديث المرموقة الى الهند في القرن العاشر الهجري بعد ضياعها لمدة قليلة بسبب خوض العلماء في علوم الفقه والكلام والرياضات... الشيخ عبد المعطي بن الحسن بن عبد الله باكثير المكي المتوفى بأحمد آباد سنة ٩٨٩ هـ والشيخ أحمد بن بدر الدين المصري المتوفى بأحمد آباد سنة ٩٩٢ هـ والشيخ محمد بن أحمد بن علي الفاكهي الحنبلي المتوفى سنة ٩٩٢ هـ والشيخ ميركان الهروي المتوفى في نفس المدينة سنة ٩٨١ هـ وغيرهم. وقد ترك علماء الهند خلفهم مصنفات عديدة ذات قيمة في مختلف علومه من مثل كتب الأحاديث وأصول الحديث وغريبه وموضوعاته وعلم التخريج وأسماء الرجال والأسانيد ومن أهم ما يقام له وزن كبير كتب الشروح للصاح الستة وهي: "فيض الباري"، للعلامة أنور شاه الكشميري و"عون الباري في حل أدلة البخاري" للسيد صديق حسن القنوجي شرحا صحيح البخاري و"فتح الملهم" للشيخ شبير أحمد الديوبندي و"المعلم" للشيخ يعقوب أبي يوسف البياني اللاهوري و"المطر الثجاج" للمفتي ولي الله بن أحمد علي الفروخ آبادي و"السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج" للسيد صديق حسن القنوجي شروح صحيح مسلم و"تحفة الأحوذى" للشيخ عبد الرحمن المباركفوري المتوفى سنة ١٢٨٣ هـ و"شرح الترمذي" للشيخ طيب بن أبي الطيب السندي المتوفى سنة ٩٩٠ هـ شرحا جامع الترمذي و"غاية المقصود" للشيخ شمس الحق الديانوي و"عون المعبود" للشيخ محمد أشرف الديانوي و"بذل المجدود" للشيخ خليل أحمد السهارةوري شروح أبي دواد و"روض الربى شرح السنن المجتبى للنسائي" للمولوي وحيد الزمان اللكوزي بالأردوية شرح النسائي و"مفاتيح الحاجة شرح سنن ابن ماجه" للمولوي محمد بن عبد الله العلوي شرح السنن لابن ماجه.

الفقه وأصوله: ومن فن النثر الذي أفرغ علماء الهند جهودهم الجبارة في تصنيفه الفقه وأصوله ومسائل الإجتهد والتقليد حتى بلغ عدد الكتب ألف مؤلف او ما يزيد عليه كما نقل الشيخ محي الدين آلواني(٢). والعناصر الرئيسية المؤدية الى مكاثرة الكتب ومتزايدتها تعود الى وجود المذاهب (المذهب الحنفي والشافعي) المقبولين في أروع شكل بين أوساط الناس في جنوب الهند وشمالها وإنفاق السلاطين الأوائل الأموال الطائلة في تدوين الفتاوى وتشكيل هيئة متخصصة لأجله. وفي مقدمة المساهمة من جانب المذهب الحنفي المحدث عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي صاحب كتاب "فتح المنان في تأييد مذهب النعمان" والشيخ المحدث فتح محمد بن عيسى البرهانپوري صاحب كتاب "فتح المذاهب" والشيخ معين الدين بن خاوند محمود الكشميري صاحب كتاب "كثرة السعادة" ومن الشافعي الشيخ زين الدين مخدوم المليباري صاحب كتابي "فتح المعين" و"قرة العين" والشيخ عبد الوهاب بن محمد غوث المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ صاحب كتابي "كفاية المبتدئ في الفقه الشافعي" وهبة الله في فقه الشافعية" والشيخ عبد القادر ابن عبد الأحد السورتي صاحب كتاب "تحفة المشتاق في أحكام النكاح والإنفاق". ف "الفتاوى العالمكيرية" في ستة مجلدات ضخمة، منتمة الى المذهب الحنفي، المشهورة ببلاد العرب والشام ومصر بـ"الفتاوى الهندية" زاع صيتها جميع أنحاء العالم من أجل نفعها الشائع وتمخض المعلومات النادرة(٣). ومما يسترعي انتباهنا في هذا الصدد كتاب "حجة الله

١ نزهة الخواطر ٥/٢٠١

٢ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص: ٣٨٩

٣ عقب تولية السلطنة كلف أورنكزيب بن الشاهجهان الشيخ نظام الدين البهانپوري تدوين الفتاوى وأعطى ماتني ألف روية لهذا الغرض وشكل تحت رئاسة نظام الدين لتحقيق الهدف لجنة مكونة من أربعة وعشرين كبار العلماء آنذاك وأجدرهم ذكرا أربعة وهم: القاضي محمد حسين الجونپوري والشيخ علي أكبر الحسيني والشيخ أحمد بن أبي حامد الجونپوري والمفتي محمد أكرم الحنفي اللاهوري-المسلمون في الهند لأبي الحسن علي الحسن الندوي ص: ٣٢

البالغة" للإمام شاه ولي الله الدهلوي المتوفى ١١٧٦ هـ الموصوف بأنه " المثال الثاني للنثر الطبيعي السلسل والتعبير العلمي العامر بعد مقدمة ابن خلدون"(١).

التاريخ: أشهر المؤلفين في هذا القسم الشيخ زين الدين بن عبد العزيز الشافعي المليباري صاحب كتاب "تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين" المطبوع في حيدر آباد الدكن سنة ١٩٣١ م. حرض فيه زين الدين المخدوم المسلمين في كيرلا على المقاومة والمناضلة ضد القوات البرتغالية الإستعمارية يتفرع بحث هذا الكتاب الى أربعة فروع وفي الفرع الأول يعالج بعض أحكام الجهاد وثوابه والتحريض عليه فيما في الثاني يتناول بدء ظهور الإسلام في ديار مليباروفي الثالث يلقي الضوء على نبذة يسيرة من عادات كفار مليبار الغربية وفي الرابع يسلط الضوء على وصول الإفرنج إلى مليبار وبعض أفعالهم الشنيئة ويعد هذا الكتاب من أهم مراجع دراسة تاريخ مليبار القديمة. مؤلفات الهنود في التاريخ تنقسم الى ثلاثة أقسام الأول تاريخ الهند الخاص: الكتب الواردة فيه كثيرة مثل كتاب "تاريخ فتنة الهند" للعلامة فضل الحق بن فضل إمام الخير آبادي و"تاج المآثر" للشيخ صدر الدين محمد بن حسن النظامي و" التاريخ الكبير" للشيخ كبير الدين العراقي والثاني التاريخ العام: الكتب المكتوبة فيه مثلا "تذكرة الكرام في تاريخ خلفاء العرب والإسلام" للسيد محمد كبير محمد الدانابوري و" تاريخ العرب" للسيد شاه محمد أكبر و"بدء الإسلام" للمولوي شبلي بن حبيب الله الأعظم كري والثالث تاريخ المغازي والفتوحات الإسلامية: والكتب فيه مثل "كتاب المغازي" للمولوي أحمد علي بن محمد علي الحسيني الطوكي و" فتوح مصر" للسيد مهدي حسين بن محمد حسين السيد بنوري. بالرغم من هذا كله اهتم الهنود بتأليف كتب في سيرة النبي صلعم وأصحابه وأئمة المسلمين والرجال المشهورين في شتى مجال العلم ومن رأس الشهرة في هذا كتاب "نزهة الخواطر"(٢) لمورخ الهند الشيخ عبد الحي فخر الدين الحسيني ذكر فيه تراجم أعيان الهند ومآثرهم وأخبارهم وأعمالهم وألقابهم وأنسابهم وما الى ذلك كله ومن بين هذه الكتب "رحيق المختوم" لصفي الرحمن المباكفوري الحائز بجائزة رابطة العالم الإسلامي الأولى عام ١٩٩٦ م و"سيرة النبي" للعلامة النعماني وتلميذه الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي وهي كدائرة المعارف في السيرة وعلم الكلام والتوحيد.

علم الكلام: إثر وصول الدعاة الفاطميين من مصر في عهد المستنصر بالله والقرامطة إلى بلاد الهند نشأ القول والقييل فيما يتعلق بعلم الكلام. وكان تأثيره السلبي تشتت المسلمين الى فرق لا تحصى من نحو الأشاعرة والماتريدية المنتمية الى أهل السنة والجماعة والإسماعيلية والإثنا عشرية والمهدوية المنتمية الى الشيعة وفي وقت نفسه بقى الجزء الأسد على ملة حنيفة وفطرة سليمة أتى بها الصحابة والتابعون من تلقاء الرسول صلعم. والكتب لأهل السنة فيه مثل "العقائد الشرفية" للشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنبري و"قواعد العقائد" للشيخ أشرف بن إبراهيم السمناني وأهل الشيعة "إزالة الشبهات للسيد أبي الحسن بن تقي الكشميري اللكهنوي وللهنود كتب شهيرة في شروح كتب القدماء نحو "الفوائد القادرية شرح العقائد" للمولوي عبد القادر بن إدريس السلهتي.

الشعر: ومن أشهر شعراء الهند أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي المقول عنه "أشهر مشاهير الشعراء في الهند" والسيد غلام علي آزاد البلكرامي (١١١٠ - ١٢٠٠ هـ) المعروف ب"حسان الهند" صاحب كتاب "سبحة المرجان في آثار هندوستان"(٣). والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي وكان الشعراء بل جلمهم يولون الإهتمام بالعلوم الشرعية ويقتفون آثار أقدام العرب في الأسلوب والموضوع وطرق التعبير. وعالج الشعراء الهنود ما عالج فحول الشعراء في العرب من

١ وصفه به العلامة أبو الحسن علي الحسن الندوي في 'المسلمون في الهند' ص: ٣٤

٢ بيد أنه جمع فيه على ترجمة أربعة آلاف وخمسمائة شخص تقريبا لم يطبع حتى عام ١٩٤٧. وأوقف طبعه عندما وصل الى الجزء الخامس بسبب أوضاع حرجة دامت في الهند آنذاك. ولما تولى مولانا أبو الكلام آزاد وزير المعارف الأول للجمهورية الهندية أشار على دائرة المعارف بإتمام الأجزاء الباقية وتم طبعه سنة ١٩٧٠ م.

المديح والرثاء والهجاء والغزل والإباحي والعذري والتقليدي وتأمل الطبيعة والوصف والفخر الخ وأكثر قصائدهم ينحصر في المدح والرثاء يقول القاضي عيد المقتدر الكندي في مدح النبي الكريم في قصيدته اللامية:

محمد خير خلق الله قساطبة هو الذي جل عن مثل وعن مثل

له المزايا بلا نقص ولا شبه له العطايا بلا من ولا بدل

ومن شعراء الهند أيضا العلامة فضل حق الخيراآبادي (١٢١٢-١٢٢٧٨هـ/١٧٩٧-١٨٦١م) الذي شارك في النضال الإستقلالي الهندي عام ١٨٥٧ والذي كتب أبياتا كثيرة يبلغ عددها ما يزيد على أربعة آلاف وأشهرها القصيدة الهمزية والدالية التي تم نظمها حين كان في المنفى. بعدما أصدرت الحكومة البريطانية العفو العام لثوار الهنود عبارة عن العلامة فضل حق الخيراآبادي أجلاهم الى جزيرة 'أندمان' فنظم شعرا عن نقض عهد ملكة 'فكتوريا' (Victoria) قال فيه:

إني بلاني خدعة امرأة بلي كيد عظيم ما تكيده نساء

خدعت بأن شهرت أن أمنت قوما نبت بهم الديار وناؤوا

فأتيت داري أنبا إذ غرني أيما كافرة لها استيلاء....

الصحائف والمجلات: ومن نقطة التحول التي لعبت دورا كبيرا في نشر أدب اللغة العربية عبر الهند ظهور الصحائف والمجلات من مختلف المصادر. ومن المجلات الهندية مجلة " البيان " الشهرية التي كانت تصدر من لكتناؤ تحت إدارة تحرير الشيخ عبد الله عمادى والأستاذ عبد الرزاق المليح آبادي الندوي و صحيفة " الجامعة " الأسبوعية التي كانت تصدر من كلكتا تحت رئاسة تحرير مولانا أبو الكلام آزاد ومجلة " الضياء " الشهرية التي كانت تصدر من ندوة العلماء بلكتناؤ وكان مؤسسها فضيلة الشيخ الأستاذ مسعود عالم الندوي وتصدر من نفس المصدر الآن " البعث الإسلامي " وصحيفة "الرائد" (١) الأسبوعية من دار العلوم بديوبند وجريدة "الدعوة " التي تصدرها الجماعة الإسلامية و"صوت الأمة" التي تصدرها جامعة السلفية بينارس و" الداعي" من دار العلوم بديوبند.

المصادر والمراجع

١. د/ أحمد الفاروقي زبير، مساهمة علماء دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، دار الفاروقي بنيودلهي، ١٩٩٥ م
٢. أحمد أشواق، مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين، جامعة جوهلال نهرو
٣. د. أختر نسيم، الجامعة المليية نيودلهي، تعليم اللغة العربية في الهند: مشكلات وتطلعات
٤. الدكتور الألواني محي الدين، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، دار القلم بدمشق، ١٩٨٦
٥. بركة محمد، عرض كتاب اللغة العربية في الهند عبر العصور، لخورشيد أشرف إقبال الندوي
٦. ثقافة الهند المجلد ٦٣، العدد ١، عام ٢٠١٢
٧. علي الحسن الندي أبو الحسن، المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء بلكتناؤ.
٨. الفاروقي محمد والمجدي محمد إسماعيل، تاريخ العربية وآدابها، صحارى بكاليكوت/ كيرلا